

البحر

مجلة فكرية نصف سنوية محكمة تصدرها الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

العدد الثلاثون

1432 هـ / 2011 م

المجلد الخامس عشر

رئيس التحرير

أ.د. محمد كمال حسن

مدير التحرير

أ.م.د. محمد الطاهر الميساوي

هيئة التحرير

أ.د. محمد سعدو الجرف

أ.د. أحمد إبراهيم أبو شوك

أ.م.د. عمر سبهيتش

أ.م.د. مجدي حاج إبراهيم

د. غالية بوهدة

د. عبد الرحمن حللي

أ.م.د. وهاب الدين رئيس

التصحيح اللغوي

أ.م.د. عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي

التنضيد والإخراج الفني

منتهى أرتاليم زعيم

المحتويات

- 10 - 5 هيئة التحرير **كلمة التحرير**
- 35 - 11 عبد الرحمن حللي **بحوث ودراسات**
- 74 - 37 محمد أبو الليث الخيراآبادي التفسير والتأويل في علوم القرآن: دراسة في المفهوم
- مجدي حاج إبراهيم شرح الأحاديث النبوية: تأسيس وتطبيق
- 109 - 75 ورحمة أحمد حاج عثمان ملامح الخطاب الاجتماعي في القصة الملايوية النسوية الحديثة
- 146 - 111 جوده مبروك محمد ظاهرة التلازم التركيبي ومنهجية التفكير النحوي
- 180 - 147 زينب بيره جكلي فن المفاخرات في العصر العثماني: دراسة مقارنة بالفنون الأدبية الأخرى
- نقد وآراء**
- 205 - 181 طالب محمد عبد القادر الصرايرة الألوان في القرآن الكريم: استعمالها ودلالاتها
- مراجعات كتب**
- 226 - 207 محمد الطاهر الميساوي مجتمع العمل (مصطفى الفيالي)
- ندوات ومؤتمرات**
- 236 - 227 عثمان محمد عثمان محمد المؤتمر العالمي عن الوسطية ودورها في الإصلاح والتنمية
- 241 - 237 عبد القادر بن عودة بن سعيد المؤتمر العالمي للتفكير الإبداعي والابتكار لأجل التنمية المستدامة
- 248 - 243 مجدي حاج إبراهيم المؤتمر العالمي عن الاتجاهات الحديثة في الدراسات اللغوية والأدبية
- رسائل جامعية**
- 258 - 249 هيئة التحرير ملخصات رسائل الدكتوراه والمجستير في كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية
- 280 - 259 منتهى أرتاليم **كشاف مجلة "التجديد" من العدد 1 (1997/1417) حتى العدد 30 (2011/1432)**

التفسير والتأويل في علوم القرآن: دراسة في المفهوم

*Tafsīr (Explanation) and Ta'wīl (Interpretation)
In Qur'anic Sciences: A Conceptual Study
Tafsīr dan Ta'wīl di dalam Ulumul Qur'an: Sebuah Studi Konsep*

*
عبد الرحمن حلي

مستخلص البحث

يمثل مصطلحا "التفسير" و"التأويل" - اللذان كان لهما حضورهما الممتد في مختلف العلوم العربية الإسلامية - نموذجاً للمفاهيم المشككة التي تار حولها الكثير من الجدل في التراث الفكري للمسلمين. وهذا البحث محاولة لتتبع هذين المصطلحين واستخدامهما بدءاً من النصوص الشرعية الأصلية (القرآن والحديث النبوي)، فاللغة، فالاستخدام المبكر لهما عند العلماء، وذلك من أجل توضيح السياقات التي استخدمها فيها. ويسعى الباحث بذلك إلى ضبط الفروق بين المفهومين اللذين يعبر عنهما هذان المصطلحان قدر الإمكان، والكشف عن الرابط الأساسي الذي يتنظم تلك الفروق. وقد رصد البحث استعمال المصطلحين في القرآن الكريم. بمعان لا تخرج عن المعنى اللغوي، وتبين مجيء معنى التأويل في السنة على نحو يتطابق مع الاستعمال الاصطلاحي اللاحق الذي جرى على أيدي العلماء. ومن ناحية أخرى بين البحث أن "التفسير" و"التأويل" قد استخدمتا مبكراً بمعنى واحد، ولاسيما عند علماء اللغة والمفسرين، كما برز المعنى الخاص للتأويل متميزاً عن التفسير في زمن مبكر أيضاً، وربما كان أقدم استخدام اصطلاحى له عند الإمام الشافعي

* دكتوراه في العلوم الإسلامية من جامعة الزيتونة، عضو الهيئة التدريسية في كلية الشريعة بجامعة حلب، البريد

في كتاب "الرسالة". ثم اتسع استعمال مصطلح "التأويل" عند المتكلمين، وخصوصاً فيما يتعلق بفهم الآيات المتشابهات. وقد انتهى الباحث من متابعته لحركة المصطلحين موضوع الدرس إلى أن التفسير والتأويل في جوهرهما مستويان للتعامل مع النص يُتوسل في كل منهما بأدوات وعناصر تسهم في معرفة المقصد من اللفظ، فهما منطلقان منهجيان لهما ضوابطهما العلمية وامتداداتهما الفكرية في فروع العلوم الإسلامية، التي يضبط كل منها زاويةً من زوايا النظر التفسيري والتأويلي للنص.

الكلمات الأساسية: التفسير، التأويل، المصطلح، المفهوم، المعنى الاصطلاحي، علوم القرآن.

Abstract

Having a widespread presence in the different disciplines of Arab-Islamic scholarship, *tafsīr* and *ta'wīl* belong to a category of problematic and controversial concepts in Muslim intellectual heritage. This study attempts to trace out these two terms and their usage in the scriptural sources (the Qur'an and the Traditions of the Prophet), the Arabic language, and their early use by scholars, with a view to shedding light on the contexts in which they had been used. The author aims by that at determining as precisely as possible the differences between the concepts expressed by these two terms and bringing to light the main thread knitting those differences together. The study has found that *ta'wīl* has been used in the Qur'an in a sense that does not depart from the linguistic meaning, while it has been used in the Prophetic Traditions in a way that conforms to the later conventional usage of scholars. The study has also shown that *ta'wīl* had been used by early scholars, especially linguists and Qur'an exegetes, synonymously, while the term of *ta'wīl* had also been used distinctively from the term of *tafsīr*. It is likely that the earliest technical use of *ta'wīl* is by Imān al-Shāfi'ī in his book *al-Risālah*. Then this technical usage of *ta'wīl* became much widespread at the hands of Muslim theologians (*mutakallimūn*), particularly when dealing with allegorical Qur'anic verses (*mutashābihāt*). The author has concluded that *tafsīr* and *ta'wīl* represent two levels of dealing with text whereby each level depends on tools and elements that contribute to the purport of terms. They constitute two well determined methodological springboards that have their intellectual dimensions in the different branches of Islamic sciences, thus pinpointing two angles in the explicatory and interpretive examination of the text.

Key terms: *Tafsīr*, *ta'wīl*, term, concept, technical meaning, Qur'anic sciences.

Abstrak

Stilah "Tafsīr" dan Ta'wīl" telah dikaji dengan luas dalam warisan intelektual Islam, justru telah dikenal dan dijadikan perbincangan ilmiah

yang luas di kalangan ulama-ulama Islam. Dan kajian ini mencuba untuk mengulang kaji dua istilah tersebut bermula dengan menelusuri dari teks asal (Quran dan Hadis), bahasa, dan penggunaan awal akan dua istilah tersebut di kalangan para ulama, dan kemudian menjelaskan konteks di mana mereka telah menggunakannya. Dan penyelidik juga akan mengkaji perbezaan antara kedua-dua konsep dan melihat pengesanan pautan yang ada pada perbezaan ini. Penyelidik melihat bahawa kedua-dua istilah ini digunakan di dalam al-Qur'an tidak keluar dari pada konteks erti bahasa, sedangkan di dalam hadis-hadis penggunaan istilah ta'wil sesuai dengan yang digunakan oleh para ulama'. Penyelidik juga mendapati bahawa istilah "tafsir" dan "ta'wil" telah digunakan untuk masa awal, mungkin penggunaan tertua dipautkan kepada Imam Shafi'i dalam bukunya "al-Risalah". Dan kemudian ulama' ahli ilmu kalam meluaskan penggunaan "ta'wil" terutama dalam memahami ayat-ayat *mutashābihāt*. Penyelidik akhirnya sapa pada kesimpulan bahawa istilah "tafsir" dan "ta'wil" adalah dua peringkat yang dalam asasnya adalah dua cara untuk berinteraksi dengan teks-teks agama sebagai alat dan unsur-unsur mencari *maqṣad* (matlamat) setiap perkataan. Tafsir dan ta'wil metode yang mempunyai kriteria masing-masing dalam cabang ilmu Islam, yang menyesuaikan setiap unsur untuk matlamat tafsiran teks-teks al-Qur'an.

Kata kunci: *Tafsīr*, *ta'wīl*, istilah, konsep, erti bahasa, ilmu-ilmu al-Qur'an.

تمهيد

يمثل القرآن الكريم منطلق العلوم الإسلامية وحاضنها، فمن أجل فهمه نشأت تلك العلوم وتطورت إلى أن استقلت بمنهج خاصة بها، وهي بدورها أصبحت بعد تطورها وفي نتائجها خادمة للنص القرآني وأداة موظفة لفهمه، أو على الأقل وفرت مادة ترتقي بثقافة المفسر التي لها أثرها في توجيه الفهم. ومحورية القرآن هذه إنما كانت لما له من دور مركزي في التحول الجذري الذي تركه في بيئة عصر التنزيل وفي تاريخ العالم العلمي والحضاري. وعندما نتحدث عن النص القرآني (وأي نص آخر)، فإننا في الواقع نتحدث عن اللغة، واللغة أداة تواصل ووعاء فكر. فالقرآن بما هو معان أنزلت بلغة العرب، يقتضي أن التغيير الذي أحدثه إنما كان للغة القرآن الأثر الأبرز فيه، إذ كانت محرّضاً على التفكير والتأمل والمراجعة والتساؤل، فكان النص القرآني صامداً للعرب بلغته التي تحدد فصاحتهم وبياناتهم، واخترقت حكمته عقولهم. والجديد

على العرب في هذا النص إنما هو أسلوبه في التعبير عن المعنى، وتوظيفه كلام العرب للتعبير عن مفهومات قرآنية جديدة تحولت بالكلمات من قالبها التقليدي لتنتزل بثوب مفهومي جديد، فكانت معاني القرآن مفهومة من قبل العرب لغة، لكنها أوسع من معارفهم معنى وأبعد دلالة، فكان حث الخطي بحثاً عن هذه الدلالات القرآنية المنطلق لما تولد من علوم ومعارف في الحضارة الإسلامية.

وكانت أولى تلك المحاولات جهود البحث في غريب القرآن ومعانيه، وقوانين فهم تراكيبه، فتطور التفسير بمناهجه المختلفة، وتداخل الدرس القرآني مع العلوم الأخرى، لتتصافر جميع العلوم في فهم المعنى القرآني. وهذه النشأة المبكرة للعلوم في الحضارة الإسلامية تدل على الوعي المنهجي المبكر لأهمية الضبط العلمي، فقد نضجت أصول العلوم الإسلامية ومبادئها قبل منتصف القرن الثاني للهجرة، ولا أدل على هذا النضج من الوصول إلى تجريد الموضوعات وسيرها وتقسيمها ومقارنتها والاصطلاح المنهجي في مقارنة العلوم¹. ولذلك كان مهماً جداً مقارنة مصطلحات العلوم من حيث إنها تمثل واحدة من أهم عناصر المنهجية في العلوم الإسلامية، وفي هذا الإطار تأتي هذه المقاربة لمصطلحي "التفسير" و"التأويل" لاسيما في حقل علوم القرآن.

والسؤال الأبرز الذي تبحث هذه الدراسة عن الإجابة عليه هو دلالة هذين المصطلحين في سياق التعامل مع النص القرآني، والفرق بينهما في هذا الخصوص. فطبيعة الدراسة مفهومية تعني برصد السيرة الذاتية لمصطلحي "التفسير" و"التأويل" في علاقتهما بالقرآن، وليس من غرضها النظر فيما أثير حول التأويل من إشكاليات وجدل تاريخي ومعاصر. فتلك الإشكاليات كانت في سياق أوسع من سياق التعامل مع النص، ومتزعة الإشكال فيها يرجع إلى جدلية العقل والنقل، وما تركته الأسئلة

¹ يمثل ما وصلنا من كتب مقاتل بن سليمان (ت150هـ) أهم شاهد على ذلك، فقد تضمنت عناوين مثل: "الأشباه والنظائر في القرآن"، وتفسير كامل للقرآن اعتنى فيه بكليات القرآن، وتفسير خمسمائة آية من آيات الأحكام.

الفلسفية من مسائل عقدية كان التأويل أحد محاور الإجابة عليها. بما هو أعم من المنظور الداخلي للتعامل مع النص. وعليه فإن عنوان البحث إذ يحرص تأريخ المصطلحين/المفهومين في علوم القرآن، لا ترد عليه أسئلة التأويل الفلسفية والكلامية التي كانت مجال بحوث كثيرة لم يكن من مشاغلها معالجة سؤال البحث الذي نحن بصدده، وإن كانت لا تنفصل عن تلك الإشكاليات انفصلاً كلياً.

ترجع أهمية درس مصطلحي التفسير والتأويل من ناحية كونهما مدخلاً منهجياً للتعامل مع النص القرآني، ومع ذلك وعلى الرغم من قدم استعمالهما، إلا أنهما لا يزالان موضع تداخل والتباس يرجع إلى عدم ضبطهما تأثيراً باستعمال التأويل في سياقات أخرى عقدية وفلسفية. ولذلك تحاول هذه الدراسة رسم مسيرة هذين المصطلحين في سياق علوم القرآن مع الاستعانة والمقارنة بمصادر أوسع نظراً للتداخل الذي أشرنا إليه. وهذا الغرض والبعد المفهومي للدراسة جعل منهجية البحث تاريخية وصفية تحليلية، وجعل أسئلة التأويل وإشكالياته الفلسفية والكلامية خارج موضوعه ودائرة تركيزه. ومع ذلك فعلى الرغم من كثرة الدراسات والرسائل العلمية في مقاربة التأويل من زوايا الإشكالية، لم أجد - فيما اطلعت عليه - دراسة تؤرخ للتفسير والتأويل مفهوماً في حقل علوم القرآن، مع أهمية مثل هذه الدراسة وكونها تؤسس لفهم منهجية التعامل مع النص القرآني. وهذا ما سوغ هذه الدراسة تحليلية وحصر ما قيل في معاني المصطلحين والمقارنة بينهما، وفهم المنهجية العلمية التاريخية للتعامل مع النص من خلالهما.

ولتحقيق هذا الغرض ستتناول هذه الدراسة الاستعمال القرآني لمصطلحي "التفسير" و"التأويل"، ثم المعنى اللغوي لهما، والاستعمال المبكر لهما من قبل العلماء، وتفصيل ما قيل في أوجه الفرق بين المفهومين، مع محاولة تقريب هذه الفروق وردّها إلى أصل يجمعها، في محاولة لإثبات مستويين في منهجية التعامل مع النص القرآني

نفترضهما، هما "التفسير" و"التأويل".

الاستعمال القرآني لمصطلحي "التفسير" و"التأويل"

لم ترد كلمة "تفسير" في القرآن غير مرة واحدة منسوبة إلى الله تعالى، مقترنة بفعل التفضيل "أحسن"، في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ۗ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۗ ﴾ (الفرقان: 32-33). وقد بينت التفاسير معنى الآية بأنه أحسن تبيانا وأحسن معنى وتفصيلاً، وأن أصل التفسير هو الكشف عما يدل عليه الكلام¹.

أما لفظ التأويل فقد ورد جذره (أول) في القرآن من خلال اثني عشر اشتقاقاً وردت في 420 موضعاً، أما صيغة "التأويل" فقد وردت في سبعة عشر موضعاً، في خمس سور مكية وسورتين مدنيتين، وقد ارتبط هذا اللفظ في القرآن بتأويل الرؤى والأحلام والأحاديث، أو تأويل الكتاب، أو ما يتعلق بعاقبة بعض الأفعال.

ومعنى التأويل في القرآن هو التحقق والوقوع سواء لما ورد في الكتاب أو الرؤى والأحلام أو المآلات والعواقب المترتبة على الأفعال، فالتأويل في الاصطلاح القرآني: "ما يصير إليه القول أو الفعل من عاقبة وتحقيق في عالمي الغيب أو الشهادة"، ويضاف إلى هذا المعنى في اصطلاح الحديث النبوي "مصير ألفاظ القرآن إلى المعاني المرادة لله تعالى منها" وهو المعنى الذي ورد في دعاء النبي ﷺ لابن عباس: «اللهم فقه في الدين

¹ انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م)، ج19، ص267؛ الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق وغوامض الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق علي معوض وفتحي حجازي (الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 1998/1418م)، ج4، ص349؛ أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف البحر المحيط (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1993م)، ج6 ص456.

وعلمه التأويل»¹، فالتأويل بمعنى تصيير الألفاظ إلى المعاني إضافة استُمدت من هذا الحديث وجعلت التأويل مرتبباً بمعنى التفسير².

وعليه فالتفسير في القرآن استعمل بمعناه اللغوي الدال على الكشف والتبيان، وكذلك استعمل التأويل بمعناه اللغوي الدال على التحقق والوقوع والمآلات. وفي السنة النبوية أضيف للتأويل معنى يقترب من المعنى الاصطلاحي العلمي اللاحق، وهو معرفة مآلات الألفاظ ومعانيها، وقد فسر بالتفسير في هذا السياق.

المعنى اللغوي للتفسير والتأويل

التفسير لغة: الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه. والفَسْرُ البيان وكشف المُعْطَى، فَسَرَ الشَّيْءَ يَفْسِرُهُ بِالْكَسْرِ وَتَفْسِرُهُ بِالضَّمِّ فَسْرًا وَفَسْرَهُ أَبَانَهُ، وَالتَّفْسِيرُ مثله، والتفسير هو بيان وتفصيل للكتاب، وكشف المراد عن اللفظ المُشْكَل، وَفَسْرَهُ يَفْسِرُهُ فَسْرًا، وَفَسْرَهُ تَفْسِيرًا. وَالْفَسْرُ وَالتَّفْسِيرَةُ: نَظَرُ الطَّيِّبِ إِلَى الْمَاءِ وَحُكْمُهُ فِيهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ يُعْرَفُ بِهِ تَفْسِيرُ الشَّيْءِ فَهُوَ التَّفْسِيرَةُ³.

فالتفسير إظهار المعنى المعقول، والتفسير في المبالغة كالتفسير، والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها، وفيما يختص بالتأويل، ولهذا يقال: تفسير الرؤيا وتأويلها⁴. ويمكن أن نلخص ضابط المعنى اللغوي للتفسير بأنه الكشف عن معنى

1 ابن حنبل، الإمام أحمد، المسند (بيروت: عالم الكتب، ط: 1998م) رقم 3033، ج 1، ص 328.

2 انظر تفصيلاً حول التأويل في القرآن والسنة: زمر، فريدة، مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث الشريف (فاس: معهد الدراسات المصطلحية، ط 2، 2005م)، ص 118، 128، 132-135، 141.

3 انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي (القاهرة: دار ومكتبة الهلال، د.ت)، ج 7، ص 247؛ ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون (بيروت: دار الفكر، 1979م)، ج 4، ص 504؛ الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط (د.ط) ص 587؛ ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج 5، ص 55.

4 انظر: الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي (دمشق: دار القلم ط: 3،

اللفظ والتعريف به بلفظ آخر.

التأويل لغة: آل إليه أولاً ومآلاً: رَجَعَ وعنه: ارتدَّ، ومن هذا الباب تأويل الكلام، وهو عاقبته وما يُؤوَلُ إليه، وذلك قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ (الأعراف: 53). أي ما يُؤوَلُ إليه في وقت بعثهم ونشورهم. وأوَّلَ الكلامَ تَأْوِيلًا وتَأْوِيلًا: دَبَّرَهُ وَقَدَّرَهُ وَفَسَّرَهُ، والتأويلُ: عبارةُ الرؤيا¹. "والتأويل والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصحّ إلاّ ببيان غير لفظه"²، يقال أُلْتُ الشيءَ أوَّله إذا جمعته وأصلحته، فكان التأويل جمع معاني ألفاظ أشكَّلت بلفظ واضح لا إشكال فيه³. وقال ابن الأثير: "والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما تُرك ظاهر اللفظ"⁴، وجاء في القاموس: "التأويلُ رُدُّ أَحَدِ الْمُحْتَمَلِينَ إِلَى مَا يُطَابِقُ الظاهر"⁵.

ويلخص الراغب الأصفهاني المعنى بقوله: "التأويل من الأول، أي الرجوع إلى الأصل، ومنه: الموثل للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه، علماً كان أو فعلاً" ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسُخُونَ فِي الْعَالَمِ ﴾ (آل عمران: 7)، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ ﴾ (الأعراف: 53)، أي بيانه

2002م)، ص 636، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق عبد العليم الطحاوي (بيروت: المكتبة العلمية، د.ت)، ج 1 ص 1206

¹ انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 1، ص 159-162؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 1244.

² الفراهيدي، العين، ج 8، ص 369.

³ ابن منظور، لسان العرب، ج 11، ص 32.

⁴ ابن الأثير الجزري، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الأثر، تحقيق محمود الطناحي وظاهر الزاوي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ج 1، ص 80. وقد أورد هذا التعريف في سياق بيان معنى حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، سبق تخرجه.

⁵ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج 1، ص 587 (مادة فسر).

الذي هو غايته المقصودة منه، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: 59) قيل: أحسن معنى وترجمة، وقيل: أحسن ثواباً في الآخرة¹. "وقيل اشتقاقه من الإيالة بمعنى السياسة. تقول العرب: "ألنا وإيل علينا"، أي سُننا وسيس علينا، أي ساسنا غيرنا. وعلى هذا يكون معنى التأويل أن يسلط المؤول ذهنه وفكره على تتبع سر الكلام إلى أن يظهر مقصود الكلام، ويتضح مراد المتكلم"².

ويمكن أن نلخص ضابط المعنى اللغوي للتأويل بأنه الوصول إلى معنى الكلام ومعرفة الغاية منه وقصد المتكلم.

الاستعمال المبكر لمصطلحي التفسير والتأويل

نسب ابن النديم (ت 380هـ) لضرار بن عمرو (ت نحو 180هـ) كتاب "تأويل القرآن"، كما نسب لبشر بن المعتمر المعتزلي (ت 210هـ) كتاب "تأويل متشابه القرآن"³. ولعلهما من أقدم ما حمل مصطلح التأويل في العنوان، لكن العنوان الثاني يحمل دلالة ربط التأويل بالمتشابه، لاسيما وأن السياق المعتزلي كان له الأثر الأبرز في درس المتشابه وتوجيهه، ويرجع الربط بين التأويل والمتشابه إلى آية آل عمران المشهورة⁴.

وقد مهد لخوض المعتزلة في التأويل ما كان لأعلام مثل الجعد بن درهم (ت نحو 118هـ)، والجهم بن صفوان (ت 128هـ)، وواصل بن عطاء (ت 131هـ)، وعمرو بن

¹ الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 99

² الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج 1 ص 55.

³ انظر: ابن النديم، الفهرست (د.ط، د.ت)، ص 205، و 215

⁴ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: 7).

عبيد (ت 144هـ) من آراء تصنف تحت عنوان التأويل في سياق تنزيه الذات الإلهية عن شوائب التمثيل والتشبيه بالمخلوقات، وما نشأ في هذا السياق من جدل عقدي كان التأويل عنوانه، بمعزل عن صلته بالتفسير أو النص وإن كانت الآيات المتشابهات واحدة من أهم ما أثار ذلك الجدل.

أما أقدم استعمال اصطلاحى في المصنفات العلمية التي وصلت إلينا فنجده عند الإمام الشافعي (ت 204هـ) ، فقد ورد لفظ التأويل في كتابه "الرسالة" في ثمانية مواضع، حيث تحدث عن الخطأ في التأويل في فهم السنة¹، كما وصف تفسيره بعض الأحاديث بالتأويل²، وكذلك فهم بعض الصحابة للسنة بمعنى يحتمله التأويل³، ونفى احتمال الغلط في التأويل في العلم العام الذي هو من قبيل ما لا يتنازع فيه⁴. واقترن في الأماكن الأربعة الأخرى بلفظ الاحتمال، كقوله: "وما كان منه يحتمل التأويل"⁵، وذلك في سياق حديثه عن العلم الخاص. وفي موطن آخر يفرق الشافعي بين أحكام القرآن وما احتمل التأويل منه، ويرى أنه "يستدل على ما احتمل التأويل منه بسنن رسول الله ﷺ"⁶، وفي المرتين الآخرين ذكر ما يحتمل التأويل على أنه نموذج للاختلاف الجائز والذي عليه دليل⁷.

هذه الموارد التي استعمل فيها الإمام الشافعي مصطلح "التأويل" دون تعريف مبتدأ له، تدل على أن معناه مستقر في السياق العلمي الذي يتناوله، والمعنى الذي يعبر عليه واضح الدلالة على كونه رأي المجتهد في فهم النصوص المستند إلى احتمال

¹ الشافعي، الإمام محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ص219.

² المصدر نفسه، ص291.

³ المصدر نفسه، ص330.

⁴ المصدر نفسه، ص359.

⁵ المصدر نفسه، ص359.

⁶ المصدر نفسه، ص510.

⁷ المصدر نفسه، ص560-561.

يقتضيه، لذلك ورد قيد احتمال التأويل في معظم الموارد، ويتأكد هذا المعنى بنفسه التأويل عند انتفاء الاحتمال في المسائل الظاهرة والمقطوع بها من العلم العام، فإذا أردنا أن نلخص ما استقر عليه معنى التأويل في عصر الشافعي من خلال "الرسالة" يمكن أن نضع قيدين له، الأول أن يكون اجتهاداً في نص، والثاني أن تكون دلالة ظنية فيها احتمال للمعنى الذي يتجه إليه المؤول. والسياقات التي يتحدث عنها الإمام الشافعي تتعلق بالأحكام الفقهية المستنبطة من القرآن والسنة.

هذا المعنى المبكر في السياق الأصولي المتجه للنظر في النصوص المشككة وترجيح أحد احتمالات معانيها كان عنواناً صريحاً لمؤلفات حملت لفظ التأويل ككتابي ابن قتيبة (ت 276هـ) "تأويل مشكل القرآن"، و"تأويل مختلف الحديث". وسيجد المعنى الأصولي للتأويل انتشاراً في السياق العقدي، وفي مصنفات الجدل الكلامي اللاحق. وسنجد عبارة "أهل التأويل" تتكرر في كتب المتكلمين كالإمام الأشعري (ت 324هـ)¹، وسيحمل كتاب الإمام أبي منصور الماتريدي (ت 333هـ) عنوان "تأويلات أهل السنة"² في دلالة واضحة على استقرار مصطلح "التأويل" بين المتكلمين، وموضوعه الأبرز هو التشابه، ولن يخرج معناه الاصطلاحي في السياق الكلامي عن استعمال الإمام الشافعي للتأويل في الرسالة، أو التعريف الأصولي للتأويل كما حرره إمام الحرمين الجويني (ت 478هـ) بقوله: "التأويل رد الظاهر إلى ما إليه مآله في دعوى المؤول"³. فهذا المعنى الأصولي كان

1 انظر: الأشعري، أبو الحسن، الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق فوقية حسين محمود (القاهرة: دار الأنصار، ط: 1، 1397هـ)، ص35؛ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق هلموت ريتز (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، د.ت)، ص278، 476.

² قال الماتريدي: "التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا والشهادة على الله أنه عني باللفظ هذا والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة". انظر: البخاري، علاء الدين عبد العزيز بن أحمد، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، تحقيق عبد الله محمود عمر (بيروت: دار الكتب العلمية ط1، 1997م)، ج1، ص70.

³ الجويني، إمام الحرمين، البرهان في أصول الفقه، تحقيق عبد العظيم الديب، (قطر: طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، ط1، 1399هـ) ج1، ص511.

حاضرًا بقوة في علم الكلام لاسيما مع الأصوليين المتكلمين كالغزالي والرازي والآمدي وآخرين، لكنه يتجه إلى المسائل العقديّة وآيات الصفات بالخصوص.

في سياق آخر سيتخذ مصطلح التأويل طريقه إلى جانب اصطلاح "التفسير" المستقر منذ عهد الصحابة، وأقدم مصنف وصل إلينا يحمل عنوانه هذا المصطلح هو "التفسير الكبير" لمقاتل بن سليمان (ت 150هـ). وقد استعمل التأويل بمعنى التفسير منذ عهد النبي ﷺ، وذلك في دعائه لابن عباس كما رأينا، وهذا المعنى هو الشائع عند كثير من اللغويين، جاء في "بجاء القرآن" لأبي عبيدة (ت 208هـ): "التأويل: التفسير"¹، وهو شائع بين المفسرين أيضًا، ومن هذا الباب ما جرى عليه الإمام الطبري في تفسيره، فإنه كثيرًا ما يقول إذا شرع في تفسير آية: "القول في تأويل قوله تعالى"، كما سنبينه.

على أن إطلاق اسم التفسير والمفسرين على علم فهم كتاب الله والمشتغلين به كان أمرًا شائعًا جدًّا، وهو ما نجد في مصنفات المتقدمين لاسيما اللغويين الذين ميزوا أنفسهم في أعمالهم المتصلة بالقرآن لغة عن أعمال المفسرين، فتواترت في كتبهم النسبة إلى التفسير على أنه علم معهود، كقولهم "جاء في التفسير" و"عند المفسرين". نجد هذا عند الفراء (ت 207هـ)² والأخفش (ت 215هـ)³ وغيرهما، فقد ميزوا أعمالهم المتصلة بالقرآن، وربما استخدموا عبارة "أهل التأويل" تعبيرًا عن المفسرين لاسيما في الآيات

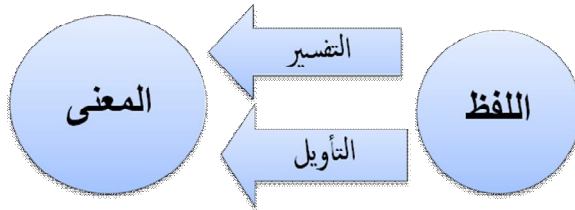
¹ أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق محمد فواد سزگين (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1381هـ)، ج1، ص86. وعن ثعلب: "التفسيرُ والتأويلُ واحدٌ". الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص587. "وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال: "التأويل والمعنى والتفسير واحد". ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص55.

² الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف النجاشي وآخرون، (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، د.ت)، ج1، ص20، 47، 122، 167، 200، 286، ج2 ص22، 59، 118، 172، 208، 211، 255، ج3 ص119، 156، 232، 249، 370.

³ الأخفش، أبو الحسن البلخي (ت 215هـ)، معاني القرآن، تحقيق هدى محمود قراعة، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 1411هـ/1990م)، ج1، ص61، 139، ج2، ص508.

المتصلة بالعقيدة¹.

ولئن كان أمراً طبيعياً حضور مصطلح التفسير بما هو كشف عن المعنى، فإن مما يلفت النظر هذا الحضور المبكر لمصطلح التأويل تأصيلاً واستعمالاً في سياق استقر فيه معنى التفسير. فبالعودة إلى كتاب العين للخليل بن أحمد (ت 170هـ) - وهو أول معجم في العربية - نجده يوضح التأويل بالتفسير يقول: "والتأويل والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصحّ إلاّ ببيان غير لفظه"². ويفهم من هذا الكلام وجود قدر مشترك بين التفسير والتأويل هو بيان معنى الكلام، فثمة أركان أساسية للعملية التفسيرية والتأويلية هي اللفظ والمعنى، وعملية الوصول إلى المعنى بغير اللفظ هي تفسير وتأويل، فجوهر التفسير والتأويل واحد من حيث المنطلق والغاية. وهذا البعد هو مرجع من سوى بين التفسير والتأويل، فالتأويل والتفسير بحث في اللفظ (المنطلق) لتحصيل المعنى (الغاية).



فدراسة النص القرآني هي الحاضن المنهجي الأول لولادة مفهومي التفسير والتأويل، بحثاً عن الغاية من اللفظ، أو المعنى الذي يطلب من المخاطب فهمه، فهي ولادة مبكرة للمفهومين لا تنفصل عن احتضان النص القرآني لهما، ويحمل الشبوع المبكر لاستعمالهما دلالة على التأصيل المبكر لمنهجية النظر في آي القرآن، ولأهميتهما استمر استعمالهما والتنظير للعلاقة بينهما، وكانا مثار جدل ونقاش استمر قروناً لاحقة، وكثرت معايير ضبطهما والتفريق بينهما تبعاً لوجهات النظر فيهما، وذلك ما نبينه في الفقرة الموالية.

¹ الفراء، معاني القرآن، ج 1، ص 229، الأخفش، معاني القرآن، ج 1، ص 70، 157، 186.

² الفراهيدي، العين، ج 2، ص 198.

أوجه الفرق بين مفهومي التفسير والتأويل

تتوزع المقاربات في بيان معنى التفسير والتأويل إلى فريقين أساسيين الأول يرى التساوي بينهما، والثاني يرى فروقاً بينهما، واختلف هذا الاتجاه الثاني في ضبط الفرق بين التفسير والتأويل، قال ابن الجوزي (ت 597هـ): "اختلف العلماء: هل التفسير والتأويل بمعنى أم يختلفان فذهب قوم يميلون إلى العربية إلى أنهما بمعنى وهذا قول جمهور المفسرين المتقدمين، وذهب قوم يميلون إلى الفقه إلى اختلافهما فقالوا التفسير إخراج الشيء من مقام الخفاء إلى مقام التجلي، والتأويل نقل الكلام عن وضعه فيما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ فهو مأخوذ من قولك آل الشيء إلى كذا أي صار إليه"¹، وسنحاول استجلاء هذه الأقوال من خلال اتجاهين أساسيين:

الاتجاه الأول: التساوي بين التفسير والتأويل

هذا الرأي - كما أشرنا سابقاً - هو ما يتجه إليه اللغويون، وقد عرفوا التأويل بالتفسير، وهو المعنى الذي شُرح به معنى التأويل في النصوص والآثار النبوية وما ورد عن الصحابة. ولعل الإمام الطبري (ت 310هـ) من أشهر من استعمل مصطلح التأويل ويقصد به التفسير وبيان المعنى القرآني، بدءاً من عنوان تفسيره "جامع البيان في تأويل القرآن" وخلال مقدمته، فاستعمل عبارة "تأويل آيه وتفسير مُشكِّله"، وقال: "ونحن - في شرح تأويله، وبيان ما فيه من معانيه - منشئون - إن شاء الله ذلك - كتاباً مستوعباً لكل ما بالناس إليه الحاجة من علمه"². وتواترت في كتابه عبارة: "والقول في تأويل قوله تعالى.."، وصنف وجوه تأويل القرآن على أوجه ثلاثة: أحدها: لا سبيل إلى الوصول إليه، وهو الذي استأثر الله بعلمه، والوجه الثاني: ما خصَّ الله بعلم تأويله نبيه ﷺ دون سائر أمته، والثالث منها: ما كان علمه عند أهل اللسان الذي

¹ ابن الجوزي، عبد الرحمن، زاد المسير في علم التفسير (بيروت: المكتب الإسلامي، 1404هـ)، ج1، ص4.

² تفسير الطبري، ج1، ص6

نزل به القرآن، وذلك علم تأويل عربيته وإعرابه، لا يُوصَل إلى علم ذلك إلا من قبلهم¹، وواضح أن هذا الصنف الثالث يشمل التفسير والتأويل عند من فرق بينهما، وتحدث عن "أهل التفسير والتأويل"²، في سياق واحد دون تفریق بينهما.

لكن الإمام الطبري استعمل عبارة التأويل في سياق الحديث عن التفسير بالرأي، فقال: "ذكر بعض الأخبار التي رويت بالنهي عن القول في تأويل القرآن بالرأي"³، وقال أيضاً: "فكذلك معنى إحجام من أحجم عن القيل في تأويل القرآن وتفسيره من العلماء السلف، إنما كان إحجامه عنه حذاراً أن لا يبلغ أداء ما كلف من إصابة صواب القول فيه، لا على أن تأويل ذلك محبوبٌ عن علماء الأمة، غير موجود بين أظهرهم"⁴. وهذا يحمل دلالة على لحظة فرقا في المستوى والعمق بين التفسير والتأويل، لا في الاستعمال، وعليه فالتساوي بين المفهومين في الاستعمال لا يعني بالضرورة الترادف بينهما في المعنى.

وقد رجح الطوفي (ت 716هـ) جواز استعمال أحدهما موضع الآخر مجازاً، إذ الأصل عدم الترادف عند من يثبته⁵. ويرى ابن تيمية (ت 728هـ) أن التأويل عند السلف هو تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق الظاهر أو خالفه، وأنه متقارب أو مترادف مع التفسير⁶. قال الإمام الزركشي (ت 794هـ): "قيل التفسير والتأويل واحد بحسب عرف الاستعمال والصحيح تباينهما"⁷.

¹ تفسير الطبري، ج 1، ص 92-93.

² المصدر نفسه، ج 1، ص 221.

³ المصدر نفسه، ج 1، ص 77.

⁴ المصدر نفسه، ج 1، ص 89.

⁵ انظر: الطوفي، سليمان بن عبد القوي، الإكسير في علم التفسير، تحقيق عبد القادر حسين (بيروت: دار

الأوزاعي، ط 2، 1989م)، ص 29.

⁶ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الإكليل في المشابهة والتأويل (الإسكندرية: دار الإيمان، د.ت)، ص 28.

⁷ الزركشي، بدر الدين محمد بن بشار، البرهان في علوم القرآن، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الفكر،

ورجح الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (ت 1393هـ) القول بالتساوي بينهما؛ "لأن التأويل مصدر أوله إذا أرجعه إلى الغاية المقصودة، والغاية المقصودة من اللفظ هو معناه وما أراده منه المتكلم به من المعاني، فساوى التفسير، على أنه لا يطلق إلا على ما فيه تفصيل معنى خفي معقول"¹، واستشهد بالآيات والآثار المستعمل فيها لفظ التأويل.

الاتجاه الثاني: التفريق بين التفسير والتأويل

إذا نظرنا إلى الاستعمال المبكر لمصطلح التأويل في سياقه الأصولي والكلامي كما أوضحناه، فإن الفرق واضح في هذا المجال. فالتأويل متجّه ابتداءً إلى الآيات المتشابهات، والعملية التأويلية تتمثل في النظر في احتمالات النص وترجيح أحد هذه الاحتمالات بدليل. وللقيام بهذا النوع من التأويل ضوابط وشروط وخطوات تم النظر فيها مبكراً، وتناولها الأصوليون والمتكلمون في مصنفاتهم، بل وضعت للتأويل مؤلفات خاصة تحمل عنوان "قانون التأويل" كالذي وضعه الإمام الغزالي (ت 505هـ)² وابن العربي (ت 543هـ)³. وقد كان التأويل جزءاً من مشروع ابن رشد (ت 595هـ) الفكري، حيث فصل الكلام فيه ضمن كتابه "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال"⁴، وجاء بنظرية للتأويل تجمع بين الفلسفة وعلم الكلام⁵.

1988م، ج2، ص164.

¹ ابن عاشور، محمد الطاهر، مقدمات تفسير التحرير والتنوير، علق عليها محمد الطاهر الميساوي (كوالالمبور: دار التجديد، ط1، 2006)، المقدمة الأولى، ص40.

² الغزالي، قانون التأويل، رسالة منشورة ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي (بيروت: دار الكتب العلمية، 1988م)، وقد طبعت مفردة أيضاً.

³ انظر: ابن العربي، أبو بكر محمد عبد الله، قانون التأويل، تحقيق محمد السليمان (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990).

⁴ ابن رشد، أبو الوليد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال (القاهرة: المكتبة المحمودية، ط3، 1968).

⁵ انظر: بوهراوة، سعيد، "قانون التأويل عند الغزالي وابن العربي وابن رشد الحفيد"، مجلة التجديد (تصدر عن الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا)، المجلد 12، العدد 23، 2008.

هذا المسار الكلامي الأصولي للتأويل ظهر مسار آخر يوازيه وينقضه، رافضاً التأويل وداعماً ما يراه الآخرون أنه مذهب السلف في التفويض في الصفات، فمما أُلّف في هذا المجال كتاب: "إبطال التأويل" للقاضي أبي يعلى محمد بن محمد الفراء الحنبلي (ت 458هـ)، و"ذم التأويل" لابن قدامة المقدسي (ت 620هـ)، الذي صرح في مقدمته أنه أُلّفه لذكر "مذهب السلف ومن اتبعهم بإحسان رحمة الله عليهم في أسماء الله تعالى وصفاته"¹. إذًا ثمة مسار واضح لمصطلح التفسير لم يكن موضع التباس، شاركه أحياناً مصطلح التأويل مطابقة أو في مستوى أعمق فيه، وثمة مسار ثالث لمصطلح التأويل شق طريقه في سياق علم أصول الفقه وعلم الكلام وكان متجهاً بالخصوص لفهم النصوص المشكّلة والآيات المتشابهة، لكن هذين المسارين الواضحين لكل من التفسير والتأويل لم يغنيا عن التنظير للفرق بينهما، حتى كثرت الأقوال في ذلك، وقد أفرد البعض رسالة خاصة لبيان الفرق بين التفسير والتأويل²، لكن محتواها لم يتجاوز جمع ما أورده العلماء من أقوال في الموضوع، وهي ما سأذكره في الجدول الآتي من مصادره، فجمعت الأقوال من كتب أصحابها أنفسهم ممن أبدوا رأياً في الموضوع أو نقلوه، أو من مصنّفات التفسير وعلوم القرآن وكتب المصطلحات والمصنّفات العلمية إن ذكرت رأياً أو تبنته في الفرق بينهما، فلم يكن من مصادر ما تتبعت من كُتّب في التأويل فقط دون أن يلحظ فرقاً بينه وبين التفسير.

جدول بيان أوجه الفرق بين التفسير والتأويل عند القائلين به

التفسير	التأويل	القائل أو المصدر الذي أورد القول
أعم:	أخص:	ذكره الراغب الأصفهاني في مقدمة
- في الألفاظ ومفرداتها	- في المعاني والجمل	التفسير، والطوفي (ت 716هـ) في
- في الكتب الإلهية وغيرها	- في الكتب الإلهية	الإكسير في علم التفسير ³ .

¹ انظر: المقدسي، ابن قدامة، ذم التأويل (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1995م).

² انظر: العمادي، حامد بن علي، "التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل"، تحقيق حازم البياتي، المجلة الأهمدية (الإمارات العربية المتحدة)، العدد 15، رمضان 1424هـ.

³ الأصفهاني، الراغب، مقدمة التفسير (القاهرة: المكتبة الأزهرية، 1329هـ)، ص10؛ الطوفي، الإكسير في علم

بيان موضوع اللفظ	بيان مراد اللفظ	ذكره في الإكسير ¹ .
بيان لفظ لا يحتاج إلا وجهاً واحداً.	توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها. بما ظهر من الأدلة.	ذكره صاحب كشف الأسرار، وصاحب مفتاح السعادة ² .
القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عني باللفظ هذا.	ترجيح أحد الاحتمالات بدون القطع والشهادة.	قاله الماتريدي (333هـ) ³ .
بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً. إخبار عن دليل المراد	- تفسير باطن اللفظ - إخبار عن حقيقة المراد	أبو طالب التغلي ⁴ .
للمعنى الظاهر	للمتشابه	ذكره في التحرير والتنوير ⁵
بالرواية	بالدراية	البحلي (ت 282 هـ) ⁶
للسحابة	للفقهاء	ذكره صاحب كشف الأسرار ⁷
مقصود على السماع والإتباع	متعلق الاستنباط	أبو نصر القشيري (ت 514 هـ) ⁸ ، وذكر ما في معناه في الإتقان ⁹ .

التفسير، ص28.

1 الطوفي، الإكسير، ص29

2 انظر: البخاري، كشف الأسرار، ج1، ص70؛ طاش كبري زاده، أحمد بن مصطفى (ت 968هـ)، مفتاح

السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم (بيروت: دار الكتب العلمية، 1985)، ج2، ص530.

3 البخاري، كشف الأسرار، ج1، ص70؛ طاش كبري زاده، مفتاح السعادة، ج2، ص530.

4 انظر: السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: الهيئة المصرية

العامّة للكتاب، 1974م)، ج4، ص193؛ طاش كبري زاده، مفتاح السعادة، ج2، ص530. ونسب بعضهم هذا

القول إلى التغلي. انظر: العمادي، حامد بن علي، التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل، ص37، ولم يعرف

بالضبط من هو المقصود.

5 ابن عاشور، مقدمات التحرير والتنوير، المقدمة الأولى، ص39.

6 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص165.

7 البخاري، كشف الأسرار، ج1، ص70.

8 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص165؛ طاش كبري زاده، مفتاح السعادة، ج2، ص531.

9 السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج4، ص193؛ طاش كبري زاده، مفتاح السعادة، ج2، ص531.

<p>النيسابوري (ت 406هـ) والبغوي (ت 510هـ) والكواشي (ت 680هـ) الجرجاني (ت 816هـ)¹.</p>	<p>صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله موافق لما قبلها وما بعدها إذا كان المحتمل موافقاً للكتاب والسنة من طريق الاستنباط.</p>	<p>توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة.</p>
<p>الفيروزآبادي (ت 817هـ)².</p>	<p>البحث عن أسرار الآيات، والكلمات، وتعيين أحد احتمالات الآية.</p>	<p>البحث عن سبب نزول الآية وبيان موضع الكلمة، من حيث اللغة.</p>
<p>الكفوي (ت 1094 هـ)³.</p>	<p>ما يستخرج بحسب القواعد العربية.</p>	<p>المقول عن الصحابة.</p>
<p>الألوسي (ت 1270هـ)⁴.</p>	<p>إشارة قدسية ومعارف سبحانه تنكشف من سجع العبارات للسالكين وتهل من سحب الغيب على قلوب العارفين.</p>	<p>التفسير ما لم يكن مرتبطاً بالإشارات وما عرف به التأويل.</p>
<p>الحراي (ت 638هـ)⁵.</p>	<p>التأويل ما ارتبطت قوانينه بعلم الإيمان، ويضيف فهم القرآن المختص بعباد الله آثرهم بإحاطة من العلم.</p>	<p>التفسير ما ارتبطت قوانينه بعلم اللغة والأدب.</p>

¹ انظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل: تفسير البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش (الرياض: دار طيبة، ط4، 1997م)، ج1، ص46؛ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص166؛ الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ)، ص72، 87.

² الفيروزآبادي، بصائر ذوى التمييز، ج1 ص56.

³ الكفوي، أبو البقاء، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1998م)، ص396.

⁴ الألوسي، محمود أبو الفضل، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ج1، ص5.

⁵ الحراي، أبو الحسن، مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المتزل، تحقيق محمادي بن عبد السلام الخياطي (الدار البيضاء: النجاح الجديدة، ط1، 2007م)، ص27.

إن تأمل ما ذكر من معانٍ للتفسير يبين أن المقصود به إنما هو تجلية معنى النص في المستوى الأول الذي يمكن فهم النص به، وهذا المستوى يتحدد من عدة عناصر:

- عموم هذا المستوى لجميع أجزاء النص وجميع أنواع الكتب.
 - تعلقه ببيان اللفظ ووضع.
 - ضيق الاحتمالات لتعلقه بالمعنى الظاهر .
 - إمكان القطع بالمراد منه.
 - إخبار عن دليل المراد.
 - تعدد موارد معرفة المعنى (الرواية وسبب نزول والاتباع واللغة والأدب).
- أما التأويل فتشترك جميع المعاني في ضبطه على أنه يمثل مستوى ثانياً من مستويات ضبط المعنى وبيان المراد من اللفظ، ويمكن تلخيص عناصر هذا المستوى بما يأتي:
- خصوص هذا المستوى بالمعاني والجمل، والكتب الخاصة كالكتب الإلهية.
 - تعلقه ببيان مراد اللفظ ومقصده أو باطنه.
 - سعة الاحتمالات في المعنى لتعلقه بدلالات مختلفة ومحتملة يرجح أحدها بما يظهر من الأدلة.
 - صعوبة القطع بأحد المحتملات لتعلقه بالمتشابه، واعتماده على الدراية والاستنباط.
 - الحاجة إلى كفاءة خاصة لدى من يمارسه.

وعليه فإن ما ذكر من فروق بين التفسير والتأويل هي في الواقع متعاضدة أكثر منها متنافرة، وعند عرض أيٍّ من الاحتمالات على غيره من الاحتمالات الأخرى نجدها متكاملة، وكل منها يضيء مستوى من مستويات كل من التفسير والتأويل. فالجميع يشير بما ذكره من فرق إلى كون التأويل أعمق من التفسير، وإلى كونه درجة في فهم المعنى تحتاج إلى أدوات التفسير وكفاءة المفسر وزيادة، وأن ضيق الاحتمال وسهولة العثور على المعنى في التفسير تقابله سعة في الاحتمالات وصعوبة في الترجيح

ووعورة في الطريق إلى المعنى في التأويل¹.

هذا ونلاحظ مستوى ثالثاً أشار إليه الحارلي وهو "فهم القرآن" الذي خصه بأرباب السلوك وحاول وضع قوانين له، وهو يقابل ما كان يعرف بالتفسير الإشاري أو الصوفي.

خاتمة

يعتبر المصطلح العلمي أسَّ المنهجية في كل العلوم، والمعيار الذي تضبط به المقولات، وتحدد الوجوه والاحتمالات. وقد تأسست كثير من المصطلحات في العلوم الإسلامية واستعملت مبكراً وكانت أسبق من التدوين العلمي، وكثير منها كان متداولاً في النصوص، فتم توظيف كثير من المصطلحات النصية في الاستخدامات العلمية. ولم تكن تلك المصطلحات بمعزل عن سياقاتها اللغوية، لكنها مع تطور العلوم وتدوينها أخذت تتضح استعمالاً وتعريفًا، وكان لها في السياقات التي استخدمت فيها وظيفتها المنهجية، بل كانت أحياناً تحدد هوية الاتجاه الفكري ومساره.

ويمثل مصطلحا التفسير والتأويل نموذجاً لتلك المفاهيم المشكلة والجدلية، وقد كان لهما حضورهما الممتد في التاريخ وفي مختلف العلوم. وقد حاولت هذه الدراسة تتبع استخدامهما بدءاً من نصوص الشرع، فاللغة، فالاستخدام المبكر لهما من قبل العلماء، ووأُتبع ذلك بتوضيح السياقات التي استخدمتهما، ثم بيان ما بينهما من فروق. وفي ضوء ذلك يمكن أن نسجل بعض الملاحظات التي ترسم معالم السيرة الذاتية للمفهومين:

- استعمل مصطلحا التفسير والتأويل في القرآن بمعان لا تخرج عن المعنى اللغوي، وظهر استعمال التأويل في السنة بمعنى يتماهى مع المعنى الاصطلاحي اللاحق.
- تشترك المعاني اللغوية للتفسير والتأويل في كون اللفظين يدلان على المقصد والغاية من اللفظ، عندما يتعلق الأمر بالجانب المعنوي.

1 لعل في تعدد ذكر مفردة التأويل وأحادية ذكر مفردة التفسير في القرآن مع نسبتها إلى الله عز وجل إشارة إلى كون التفسير عمل يتصل بما يمكن الجزم به من الفهم، أما التأويل فهو في سياق ما يتعدد فيه الفهم.

- استخدم التفسير والتأويل مبكراً بمعنى واحد لاسيما عند اللغويين والمفسرين، لكن بعض سياقات استخدام مصطلح التأويل كانت تشير إلى تميزه عن التفسير بالعمق.
- ظهر المعنى الخاص للتأويل المتميز عن التفسير مبكراً، وأقدم استخدام اصطلاحي للتأويل يمكن رصده عند الإمام الشافعي في الرسالة، والذي يدل على ارتباطه باحتمالات للنص يتم الترجيح بينها بدليل، وهذا المعنى هو ما اتجهت إليه الاستخدامات الأصولية والكلامية لهذا المصطلح.
- اتسع استعمال مصطلح "التأويل" لدى المتكلمين، وخصوصاً فيما يتعلق بفهم الآيات المتشابهات، ونلاحظ هذا الاستعمال بالخصوص عند المعتزلة الذين تصدوا له، وأصبح عنوان مصنفاً لهم.
- تحول مصطلح التأويل بعد توسع استخدامه في علم الكلام إلى مطية للتميز والخروج عن رأي الجماعة بدعوى التأويل، وأصبح في بعض السياقات علماً يدل على المخالفين، وتحول لاحقاً إلى عنوان للذم والقدح، لما نسب إلى مدعيه من مخالفة غير مؤصلة.
- كان للتأويل مساقات أخرى عززت هذه الجدل حوله، لاسيما مع دخول السياق الفلسفي والاستعمال الصوفي لمصطلح التأويل، مما جعل منه مثار التباس جديد.
- وفي العصر الحديث أخذ مصطلح التأويل ومفهومه أبعاداً جديدة ذات ارتباط بالنظريات الفلسفية واللغوية الحديثة وذلك في سياق القراءات المعاصرة للتراث الإسلامي. لكن المنحى الذي سعت هذه الدراسة إلى العناية به هو البعد المفهومي التاريخي لهذين المصطلحين والكشف عن تصوراتهما والفروق بينهما لاسيما في علوم القرآن، وانتهت إلى كونهما مؤشرين مهمين على الوضوح المنهجي في العلوم الإسلامية، وأنها استخدمتا لضبط العلاقة مع النص وكشف معانيه.
- وفي رأينا أن الاستخدام لمصطلح "التأويل" إنما يدل على سعي لتأصيل الاختلاف في الفهم، وتشريع احتمالات المعنى، وأن النص (قرأناً وسنة) كما يفهم تفسيراً من ظاهر لغته ورواية تفسيره، يفهم أيضاً تأويلاً بشكل أعمق يغوص على الاحتمالات

المتعددة أو كثرة مستويات الدلالة في هذا النص اعتماداً على ما يحف به من سياقات وقرائن ودلائل تقود القارئ إلى معنى محتمل للنص قد لا يكون هو المتبادر.

وبكلمة يمكن القول إن التفسير والتأويل مستويان للتعامل مع النص تعين على كل منهما أدوات ومسالك وعناصر تسهم في معرفة المقصد من اللفظ، فهما منطلقان منهجيان لهما ضوابطهما العلمية وامتداداتهما في فروع العلوم الإسلامية، التي يضبط كل منها زاوية من زوايا النظر التفسيري والتأويلي للنص، وهما مع كل هذه الأبعاد درس لغوي بامتياز.

References:

المراجع:

- Abū Ḥayyān, Muḥammad ibn Yūsuf, *Tafsīr al-Baḥr al-Muḥīṭ* (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1993).
- Abū ‘Ubaidah, Ma‘mar bin al-Muthannā, *Majāz al-Qur‘ān*, edited by Muḥammad Fu‘ād Saẓkīn (Cairo: Maktabat al-Khanjī, 1381).
- Al-Ḥarālī, Abū al-Ḥasan, “Miftāḥ al-Bāb al-Muqaffal li Fahmi al-Qur‘ān al-Munazzal”, in *Turāth Abī al-Ḥasan al-Ḥarālī fī al-Tafsīr*, ed. Maḥmādī ibn ‘Abd al-Salām al-Khayyātī (Casablanca: Al-Najāḥ al-Jadīdah, 1st edition, 2007).
- Al-Akhfash, Abū al-Ḥasan al-Balkhī, *Ma‘ānī al-Qur‘ān*, ed. Hudā Maḥmūd Qarā‘ah (Cairo: Maktabat al-Khanjī, 1st edition, 1411/1990).
- Al-Alūsī, Maḥmūd Abū al-Faḍl, *Rūḥ al-Ma‘ānī fī Tafsīr al-Qur‘ān al-‘Azīm wa al-Sab‘ al-Mathānī* (Beirut: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, no date).
- Al-Ash‘arī, Abū al-Ḥasan ‘Alī bin Ismā‘īl, *al-Ibānah ‘an Uṣūl al-Diyānah*, edited by Fauqiyyah Ḥussayn Maḥmud (Cairo: Dār al-Ansār, 1st edition, 1397).
- , *Maqālāt al-Islāmiyyīn wa Ikhtilāf al-Muṣallīn*, edited by Helmut Rittr (Beirut: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, 3rd edition, no date).
- Al-Baghawī, Abū Muḥammad al-Ḥussayn ibn Mas‘ūd, *Ma‘ālim al-Tanzīl (Tafsīr al-Baghawī)*, ed. Muḥammad ‘Abd Allāh al-Nimr, ‘Uthmān Jum‘ah Ḍamīriyyah and Sulaymān Muslim al-Ḥarsh (Riyadh: Dar a-Taybah, 4th edition, 1997).
- Al-Bukhārī, ‘Alā’ al-Dīn ‘Abd al-Azīz ibn Aḥmad, *Kashf al-Asrār ‘an Uṣūl Fakhr al-Islām al-Bazdawī*, ed. ‘Abd Allāh Maḥmūd ‘Umar (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1st edition, 1997).
- Al-Farāhīdī, al-Khalīl bin Aḥmad, *al-‘Ayn*, edited by Mahdī al-Makhzūmī and Ibrāhīm al-Sāmurrā’ī (Cairo: Dār al-Hilāl, no date)..

- Al-Farrā', Abu Zakariyya ibn Ziyad, *Ma'ānī al-Qur'ān*, ed. Aḥmad Yūsuf al-Najāṭī et al., (Cairo: al-Dār al-Miṣriyyah li al-Ta'līf, 1st edition, no date).
- Al-Fayrūzābādī, Muḥammad ibn Ya'qūb, *al-Qāmūs al-Muḥīṭ* (no date)
- , *Baṣā'ir Dhawī al-Tamyīz fī Latā'if al-Kitāb al-‘Azīz*, ed. ‘Abd al-Ḥalīm al-Ṭaḥāwī (Beirut: al-Maktabah al-‘Ilmiyyah).
- Al-Ghazālī, Abū Ḥāmid Muḥammad Muḥammad, *Qānūn al-Ta'wīl* (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1988).
- Al-Jurjānī, ‘Alī ibn Muḥammad ibn ‘Alī, *al-Ta'rifāt*, ed. Ibrahim al-Abyari (Beirut: Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 1st edition, 1405).
- Al-Juwaynī, ‘Abd al-Malik ibn ‘Abd Allāh ibn Yūsuf, *al-Burhān fī Uṣūl al-Fiqh*, ed. ‘Abd al-Azīm al-Dīb (Qatar: Published under sponsor of al-Sheikh Khalīfah Al-Thānī, 1st edition, 1399)
- Al-Kafawī, Abū al-Baqā', *al-Kulliyāt: Mu'jam fī al-Muṣṭalahāt wa al-Furūq al-Lughawīyyah*, ed. ‘Adnān Darwīsh and Muḥammad al-Miṣrī (Beirut: Muassasat al-Risālah, 1998).
- Al-‘Imādī, Ḥāmid ibn ‘Alī, "al-Tafṣīl fī al-Farq bayna al-Tafsīr wa al-Ta'wīl", ed. Ḥazim al-Bayātī, *Majallat al-Aḥmadiyyah*, Uni Arab Emirate, issue 15, Ramaḍān, 1424.
- Al-Rāghib al-Aṣfahānī, Al-Ḥusayn ibn Muḥammad ibn al-Mufaḍḍal, *Mufradāt Alfāz al-Qur'ān* (Damascus: Dār al-Qalam, 3rd edition, 2002).
- Al-Rāghib al-Aṣfahānī, Al-Husein ibn Muḥammad ibn al-Mufaḍḍal, *Muqaddimat al-Tafsīr* (Egypt: al-Maktabah al-Azhariyyah, 1329).
- Al-Shāfi'ī, Muḥammad ibn Idrīs, *al-Risālah*, ed. ed. Aḥmad Muḥammad Shākīr (Berut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah).
- Al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn ‘Abd al-Raḥmān, *al-Itqān fī ‘Ulūm al-Qur'ān*, ed. Muḥammad Abū al-Fadl Ibrāhīm (Cairo: al-Haiyah al-Misriyyah li al-Kitāb, 1974).
- Al-Ṭūfī, Sulaymān ibn ‘Abd al-Qawī, *al-Iksīr fī ‘Uloom al-Tafsīr*, ed. ‘Abd al-Qādir Ḥasan (Beirut: Dār al-Awzā'ī, 2nd edition, 1989).
- Al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ‘Umar, *al-Kashshāf ‘an Ḥaqā'iq al-Tanzīl wa ‘Uyūn al-Aqāwīl fī Wujūh al-Ta'wīl* (Riyadh: Maktabat al-‘Ubaykān, 1998)..
- Al-Zarkashī, Badr al-Dīn Muhammad ibn ‘Abdullah, *al-Burhān fī ‘Ulūm al-Qur'ān*, ed. Mustafa Abd al-Qadir Ata (Beirut: ‘Aṭā (Beirut: Dār al-Fikr, 1988)
- Al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr ibn Yazīd ibn Kathīr ibn Ghālīb al-‘Āmilī, *Jāmi' al-Bayān fī Ta'wīl al-Qur'ān*, edited by Aḥmad Muḥammad Shākīr (Beirut: Muassasat al-Risālah, 1st edition, 2000).
- Bouhrawa, Said, "Qānūn al-Ta'wīl ‘inda al-Ghazālī wa Ibn Rushd al-Ḥafīd", *At-Tajdid*, International Islamic University Malaysia, vol. 12, No. 23, 2008.
- Ibn Ḥanbal, Aḥmad al-Shaybānī, *Musnad al-Imām Aḥmad* (Beirut: al-Maimanah, no date).
- Ibn al-Athīr, *al-Nihāyah fī Gharīb al-Athār*, editor: Maḥmūd al-Ṭanāḥī and Ṭāhir al-Zāwī (Beirut: Dār Ihya' Turāth al-‘Arabī, no date)

- Ibn al-Jauzī, ‘Abd al-Raḥmān, *Zād al-Masīr fī ‘Ilm al-Tafsīr* (Beirut: Al-Maktab al-Islāmi, 1404).
- Ibn al-‘Arabi, Muḥammad ibn ‘Abd Allāh, *Qānūn al-Ta’wīl* (Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmi, 1990).
- Ibn Fāris, Abū al-Ḥasan Aḥmad, *Mu‘jam Maqāyis al-Lughah*, Ed. Abdul Salām Hārūn (Beirut: Dār al-Fikr, 1979)
- Ibn Manzūr, Muḥammad ibn Mukarram, *Lisān al-‘Arab* (Beirut: Dār al-Ṣādir, no date).
- Ibn Nadīm, Muḥammad ibn Ishāq, *al-Fihrist* (no place, no date).
- Ibn ‘Āshūr, Muḥammad El-Ṭāhir, *al-Taḥrīr wa al-Tanwīr* (Tunis: Dār al-Tunisiyyah li al-Nashr, 1984).
- Ibn Qudāmah, ‘Abdullah ibn Aḥmad al-Maqdisī, *Dhamm al-Ta’wīl* (Beirut: Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 1995).
- Ibn Rushd, Abū al-Walīd Muḥammad ibn Aḥmad, *Faṣl al-Maqāl fī mā bayna al-Ḥikmah wa al-Sharī‘ah min Ittiṣāl* (Cairo: al-Maktabah al-Maḥmūdiyyah, 1968).
- Ibn Taymiyyah, Aḥmad al-Ḥarrānī, *al-Iklīl fī al-Mutashābih wa al-Ta’wīl* (Alexandria: Dār al-Īmān, no date).
- Muqātil ibn Sulaymān, *al-Tafsīr al-Kabīr (Tafsīr Muqātil)*, edited by ‘Abd Allāh Maḥmūd Shaḥātah Beirut: Dār Iḥyā’ al-Turāth, 1423).
- Tāsh, Kubrī Zādah (Aḥmad ibn Muṣṭafā), *Miftāḥ al-Sa‘ādah wa Miṣbāḥ al-Siyādah fī Mauḍū‘āt al-U‘lūm* (Berut: Dār al-Kutub al-‘ilmiyya. 1985).
- Zumurrud, Farīdah, *Maḥmūd al-Ta’wīl fī al-Qur’ān al-Karīm wa al-Ḥadīth al-Sharīf* (Fes: Ma’had al-Dirāsāt al-Muṣṭalaḥiyyah, 2005).